ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

إسهامات الشريف التلمساني في مجال الأدب

Contributions of Sharif Talmansani in the field of literature

دة. نوال بلمداني*

Dr.BELMADANI nawel

أستاذة محاضرة أ التاريخ الوسيط الإسلامي

–كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية–جامعة مصطفى إسطمبولي– معسكر، البريد الإلكتروني:

naouelbelmadani@yahoo.fr

Abstract: *Among the names that figured in the great cultural circles of Greater Maghreb were the members of the Sharif family, a number of whom contributed to the current of thought and had a great reputation in all the Muslim world at that time . Al-fakih Cherif Atilimsani was dean (at their head).*

Al- Cherif Atilimsani grew up in Tlemcen in a noble family, known for knowledge and uprightness. He grew up in an environment of godliness and knowledge in this city known for its cultural and scientific influence. This helped to forge his scientific spirit and allowed him to excel in transcribed sciences and oral sciences.

Al-Cherif Atilimsani was known to excel in jurisprudence. This has not prevented it from being so in other sciences such as literature, this has prompted me to treat the subject "ishaamat Al-Cherif Atilimsani fi majal al-adab", the interpreter of the subject was very Attentive to knowing the semantics (meaning) of the word and the rules of grammars related to it for what they had important in the understanding and in the reading of the current and whose text could change meaning for small deviations of Spellings, minimal be they. That is not admitted concerning the word of Allah.

What caught my attention, too, was the literary repertoires of Cherif Atilimsani, reconducted and translated. We found a criticism in which the author attests that Al-Cherif Atilimsani put a definition to the "al- jaroumiya" in a book entitled "al-doura al-nahouiya fi charh al-jaroumiya". The question that arises is that really Al-Cherif Atilimsani put a definition there.

Key words: *Maghreb; the Sharif family; Al-fakih Cherif Atilimsani; jurisprudence*

التعريف بالشريف التلمساني: ذكرت كتب السير والتراجم اسم المترجم له ونسبه، فهو محمد بن أحمد بن علي بن يحي الإدريسي الحسني أو أبو عبد الله الشريف، وأبو عبد الله محمد بن أحمد المالكي، ويعرف كذلك بالعلوي نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان تسمى العلويين،

* تاريخ استقبال المقال:2017/06/26تاريخ المراجعة:2017/09/28 تاريخ القبول:2017/10/02

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

ويُعرَف بالشريف التلمساني، وكذلك ب: شارح الجمل للخونجي، وصاحب الفروع والأصول[1].

***مولده ونشأته:** نشأ فقيهنا في بيت أصيل ذا شهرة علمية، ولد عام 710هـ، يؤكد ابن خلدون ذلك في رحلته وهو أحد طلبة الشريف التلمساني فيقول: "وأخبرني رحمه الله أن مولده سنة عشر"[2]، وهو ما أثبته التنبكتي نقلا عن الونشريسي قائلا: "هذا هو الصحيح في ولادته"[3]، ونقله ابن مريم[4].

كان مولد أبو عبد الله الشريف وسط أسرة عربية أصيلة وشريفة، اتسمت بالعلم والنباهة والوجاهة وحسن التدين[5]، نشأ وترعرع بتلمسان وأخذ العلم عن مشيختها[6]، ابتدأ الإقراء وهو ابن إحدى عشر عاماً، وكان مديما لطلب العلم في صغره وكبره حتى مات[7]، حتى أنّ أجلة العلماء وشيوخه شهدوا له بوفور العقل وحضور الذهن، فاتسع باعه في العلم وعظم قدره[8]، وهو ما حفظته لنا المصادر التي ترجمت له؛ فالتنبكتي يذكر أنّ صاحب ترجمتنا قد نشأ "عفيفاً صيناً، تعلم في صغره بأخلاق مرضية نسيج وحده وفريد عصره، وانتهت إليه إمامة المالكية بالمغرب وضربت عليه آباط الإبل شرقا وغربا، فهو علم علمائها ورافع لوائها"[9]، فأقرأ العلوم في زمن شيوخه وأقبل عليه الخلق مع سلامة العقل[10].

كما وُصِفَ على أنّه كان من أجمل الناس وجهاً مهيباً ذا نفس كريمةٍ وهمّةٍ نزيهةٍ رفيع الملبس بلا تصنع، سري الهمّة بلا تكبر، حليما متوسطا في أموره قويّ النفس مؤيدا بطهارة[11]، وأصدق الناس لهجة وأحفظهم مروءة، مشفقا على الناس رحيما بهم يتلطف في هدايتهم حسن اللقاء كريم النفس طويل اليد، يعطي نفقات عديدة ذا كرم واسع وكنف لين وصفاء قلب[12]، وشُهِدَ له بجميل العشرة مع أهله ورحمه وضيوفه؛ فقد كان بساماً منصفاً يقضي الحوائج، سمحاً متورعاً يوسع في نفقته أهله ويواسيهم بجرايات كثيرة من ماله، يكرم ضيفه ويقرب له ما حضر[13]، فهذا تأكيدٌ على مكانته وتواضعه ومحبته للغير.

وما عُرِفَ عن الشريف التلمساني واشتهر به معاملته لطلبة العلم؛ فقد كانوا أعز الناس وأكثرهم عددا وأوسعهم رزقا وانتفاعا في عهده فكثر العلم وانتشر[14]، واستعانوا بحسن لقائه وسهولة فيضه وحلاوته مع بشاشة، لا يؤثر عن الطلبة غيرهم يحملهم على الصدق ويبث لهم

الحقائق، يرتب كلا في منزله ويحمل كلامهم على أحسن وجوهه يبرزه في أحسن صورة، يترك كل أحد وما يميل إليه من العلوم ويرى الكل من أبواب السعادة[15].

وكلّ هذه الصفات الروحية التي تميز بها صاحب الفروع والأصول جعلته أحد رجال الكمال علما ودينا لا يعزب عن علمه فن عقلي فقد بلغ الغاية القصوى من الإدراك والتبحر وفصاحة اللسان عند الإلقاء[16]، وكذا فارس العلوم العقلية والنقلية الفهامة المحقق العمدة الحافظ، كان من أعلام العلماء والأئمة الفضلاء أعلم من في عصره بإجماع[17].

* **وفاته:** أجمعت جلّ المصادر التي ترجمت للشريف التلمساني أنّ وفاته كانت سنة 771هـ/1370م[18]، بعد فترة من المرض دامت ثمانية عشر يوما (18) ثم مات بحضرة العلماء والفقهاء تالين كتاب الله حتّى قبض الله روحه[19]، وذكر عنه أنه في مرضه قبّل المصحف ومسح به وجهه وقال: "اللّهم كما عززتني به في الدنيا فاعززني به في الآخرة"[20]، وتأسف السلطان الزياني لوفاته، وقال لولده عبد الله: "ما مات من خلفك وإنما مات أبوك لي لأني أباهي به الملوك"[21].

* **شيوخه الشريف التلمساني:** تفيدنا المصادر أنّ الشريف التلمساني تعلّم على مجموعة من العلماء، على رأسهم شيوخ بلده تلمسان وأكابر أهلها، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

– عبد الله المجاصي (ت741هـ/ 1340م): عالم الصلحاء وصالح العلماء وجليس التنزيل وحليف البكاء والعويل"[22].

– **ابنا الإمام:** لازمهما أبو عبد الله الشريف التلمساني ودرس عليهما العلوم العربية والإسلامية الدينية واللغوية[23]، وذكرهما تلميذهما أبو عبد الله المقري: "فممن أخذت عنه واستفدت منه عالماها يعني تلمسان الشامخان وعالماها الراسخان ... ابنا محمد بن عبد الله ابن الإمام ..."[24].

– **ابن هدية القرشي(ت736هـ/ 1335م):** محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي التلمساني القاضي، والأديب، والخطيب، والفقيه المالكي[25]، ذو الرأي الأصيل والحظ الوفير من علم العربية واللغة والتاريخ[26].

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

– **أبو عبد الله التميمي (ت745هـ/ 1344م)**: محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمر التميمي أحد قضاة العدل والورع، عين قاضيا بتلمسان فأخذ عنه أبو عبد الله الشريف التلمساني والمقري الكبير[27].

– **أبو موسى المشدالي :(ت745هـ / 1344م)**: عمران بن موسى بن يوسف المشدالي البجائي الأصل المكنى أبو موسى، كان فقيها حافظا علامة محققا كبيرا أخذ عنه العلامة المقري وغيره[28].

– **عبد المؤمن الجاناتي (ت746هـ/ 1345م)**: عبد المؤمن بن محمد بن موسى الجاناتي، كان من أعرف الناس بالمدونة والتهذيب، وكان حسن الإلقاء للمسائل إلا أنه لا يحسن العربية[29].

– **أبو عبد الله بن النجار (ت749هـ/ 1348م)**: أبو عبد الله محمد بن يحي بن علي بن النجار مراكشي الأصل من بيت نباهة في الإمامة والعدالة[30].

– **أبو عبد الله السطي (ت749هـ/ 1349م)**: محمد بن علي بن سليمان السطي، ذكره ابن مرزوق الخطيب قائلا: "خزانة مذهب مالك مع مشاركة تامة في الحديث والأصلين واللسان وديانة شهيرة وصلاح متين"[31].

– **أبو عبد الله عبد السلام (ت749هـ/ 1348م)**: محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير الهواري المنستيري فقيه مالكي، كان إماما عالما حافظا متفننا في علمي الأصول والعربية وعلم الكلام والبيان، فصيح اللسان، عالما بالحديث لم يكن في بلده في وقته مثله[32].

– **أبو عبد الله الآبلي (ت757هـ/ 1356م)**: محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني الشهير بالآبلي، وصفه تلميذه المقري بالشيخ العلامة بسبب علو منزلته العلمية[33]، كان أعلم خلق الله في الفنون المعقولية وبرع في التعاليم[34].

* **تلامذته:** اشتهر فقيهنا بحبه للعلم وتخصصه في عدّة أنواع منه، خاصة العلوم الدينية التي شملت الفقه والحديث والتفسير وعلوم القرآن، إضافة للأدب وعلوم اللغة العربية، وكذا العلوم العقلية والتطبيقية، لم يحتفظ بهذه المعارف لنفسه بل عمل على تدريسها وتلقينها لطلابه وتلامذته، ومن الشخصيات التي أطلعتنا عليها المصادر وتتلمذت على أبي عبد الله الشريف:

– أبو سعيد بن لب (ت782هـ/ 1380م)[35]

- أبو إسحاق الشاطبي (ت 790هـ/ 1388م)[36]
- ابن زمرك الوزير (ت 795هـ/ 1392م)[37]
- أبو زيد ابن خلدون (ت 808هـ/ 1405م)[38]
- ابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/ 1407م)[39]
- ابن السكاك العياضي (ت 818هـ/ 1415م)[40]

***مكانة الشريف التلمساني العلمية وإسهاماته الأدبية:** لقد كانت مناحي العلوم التي انطوى عليها صدر أبي عبد الله الشريف متعدِّدة، ووصل في التفنُّن فيها إلى الغاية، جمع بين الشريعة والحقيقة وسعى في معارجها على أصح طريقة، إذا تكلم في العلم بالله تعالى لا يشق غباره ولا يجاري في مضماره، بل حظ العلماء في ذلك الإقبال عليه، والإصغاء إليه فينزههم في جنات فردوسه ويسقيهم من كوثر توحيده لقيامه بعلوم كتابه تعالى[41]، غير أنّ صاحب ترجمتنا كان قليل التأليف وهو ما يؤكده ابن مريم قائلا: "وكان قليل التأليف وإنما اعتناؤه بالإقراء..." [42]، ويضيف نفس المؤلِّف أنه كان "إماما في العلوم العقلية كلها منطقا وحسابا وتنجيما وهندسة وموسيقى وطبا وتشريحا وفلاحة وكثيرا من العلوم القديمة"[43].

عموما، لم يصلنا من خبر تأليفه سوى القليل، والسبب هو كثرة انشغاله بالتعليم والتدريس والإقراء الأمر الذي عاقه عن الاهتمام بالكتابة والتأليف.

لقد كان الشريف التلمساني شخصية علمية ذات سمات وشمائل راقية سامية في الدين والخلق، في العلم والعمل، في تنوع علومه وسعتها، ومعارفه النافعة، لقد حظي هذا العلاّمة بمكانة علمية ودينية كبيرة، وهو ما نقف عنده من خلال وصف يحي ابن خلدون له قائلا: "شيخنا الفقيه العالم الأعرف.... أحد رجال الكمال، علما ودينا، لا يعزب عن علمه فن عقلي ولا نقلي إلاّ وقد أحاط به... بلغ الغاية القصوى من الإدراك والتبحر وفصاحة اللسان عند الإلقاء...."[44]، كما خصّه صاحب المعيار المعرب بعنوان "ترجمة مفصلة للفقيه الشريف محمد الحسني التلمساني"، وجاء فيه: "وكان هذا الشيخ.... فارس المعقول والمنقول، وصاحب الفروع والأصول..."[45].

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

ويضيف ابن مريم قائلا: "لقد بلغ من التفنن في العلوم ما هو مشهور، انتهى فيه إلى النهاية، جمع بين الشريعة والحقيقة، وسعى في معارجها على أصح طريقة، إذا تكلم في العلم بالله تعالى لا يشق غباره، ولا يجارى في مضماره، بل حظ العلماء في ذلك الإقبال عليه والإصغاء إليه... فسّر القرآن في خمس وعشرين سنة، أتى فيه بالعجب العجاب، ومجلسه عظيم هائل يحضره أكابر الملوك والعلماء والصلحاء وصدور الطلبة ومشيخة زمانه، لا يتخلّف منهم أحد، وكان عالما بحروفه ونحوه وقراءته، واختلاف روايته، وبيانه وإعجازه وأحكامه، ومعانيه من أمر ونهي، وناسخ ومنسوخ، وتاريخ وغيرها"[46].

خلاصة القول، كان الشريف التلمساني ملما بمختلف العلوم عقليةً كانت أو نقليةً، وهو ما نلمسه من خلال كتب التراجم والطبقات التي عرفت به، وذكرت إسهاماته الفعّالة في ميادين ثقافية ومعرفية مختلفة، فكان الفقيه والعالم والمتصوف والمؤلف والأصولي والخطابي.

* **مؤلفاته:** لقد اكتست تآليف فقيهنا الجليل مكانة مرموقة بالرغم من قلتها، ومن أشهرها:

–"مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول"، وهو من أشهر مؤلفاته التي نالت شهرة كبيرة، طبق فيه مسائل الفقه على الأصول[47] ، ويرى عبد الوهاب عبد اللطيف أنّ الكتاب من أجود المصنفات في علم أصول الفقه طبق فيه المسائل الفقهية على الأصول والأدلة الكلية وإثبات المسائل وتحقيق في أحكام مذاهب الأئمة فهو على طريقة الفقهاء، لا على طريقة المتكلمين وليس مقصورا على طريقة الحنفية أو الشافعية بل هو جامع للطريقتين وشارح للمنهجين معنيا بأدلة المالكية[48].

–"**مثارات الغلط في الأدلة**"، قام بتحقيقه فركوس مثلما حقق "**مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول**"، دراسةً، وتوثيقاً، ومنهاجاً، ووصفاً[49].

–"كتاب في القضاء والقدر"، يذكر صاحب نيل الابتهاج المصنف قائلا: "حقق فيه مقدار الحق بأحسن تعبير عن تلك العلوم الغامضة، وإليه يفزع أهل المغرب لحل المشكلات"[50]، وعنه يقول ابن مريم: "حسن البسط في التأليف، ألف كتابا في القضاء والقدر أجاد فيه، وقدّر الحق مقداره، وعبر عن تلك العلوم الغامضة أحسن تعبير، وإليه مفزع علماء المغرب في حلّ ما أشكل من علومه..."[51].

– **كتاب في المعاوضات أو المعاطات**، يتطرق الكتاب لبعض القضايا الفقهية ومسائل البيوع المتعلقة بالمعاوضات أو المعاطاة المدرجة ضمن المعاملات المالكية[52].

في مجال الأدب: كان الشريف التلمساني خبيراً بعلوم اللغة العربية وآدابها وقواعدها، حافظا للغة والغريب والشعر والأمثال وكان عذب الكلام فصيح اللسان[53]، ويؤكد الونشريسي أنّه كان يحمل "من الفقه والعربية وسائر علوم الشريعة، وكانت له في كتب الخلافيات يد طولى وقدم عالية يعرف له ابن عبد السلام ذلك كله وأوجب حقه، وانقلب إلى تلمسان وانتسب إلى تدريس العلوم وبثها فملأ المغرب معارف"[54] ، أمّا أحمد بابا التنبكتي فيقول عنه: "... كان أعلم الناس بالعربية وعلوم الأدب، حافظا للغة والغريب والشعر والأمثال وأيام العرب وسيرها وأخبار الناس وسير الصالحين وإشارات الصوفية، حسن المجلس كثير الحكايات عذب الكلام... إماما في العلوم العقلية من منطق وحساب وفرائض وتنجيم وهندسة وموسيقى وتشريح وفلاحة وعلوم قديمة"[55].

ويثبت ابن مريم تلك المكانة الأدبية، فيقول عنه: "وكان من أعلم الناس بالعربية، وأجمعهم لعلومها، محصلا لطريق الأدب، عربيًّا نحويًّا، آية في البيان والبديع حتى كان الطلبة يوم موته تقول: "مات الطبيب لاطلاعه على أسراره، حافظا للغة والغريب والشعر والأمثال، وأخبار الناس ومذاهبهم، وأيّام العرب وسيرها وحروبها، ذاكرا لأخبار الصالحين وسيرهم، وإشارات الصوفية ومذاهبهم، حسن المجلس، كثير الحكايات، ممتع المحضر، عذب الكلام، فصيح اللسان..."[56].

أمّا أشهر مؤلفاته في هذا الفن:

– "**شرح جمل الخونجي**[57]"، وهو كتاب في المنطق، "انتفع به العلماء وكتبوا عليه قراءة ونسخا فانتشر..."[58]، والغرض من وضع هذا الكتاب هو شرح وبيان لكتاب الجمل للخونجي التي تنضبط بها قواعد المنطق وأحكامه[59]، ويضيف محمد علي فركوس أحد محققي كتاب مفتاح الوصول... قائلا: "هذا الكتاب يعد مختصراً منطقيا شديد الإجمال، لا يتمكن من فهمه إلاّ من كان على اطلاع واسع بالعلوم العقلية، عارفا بالمنطق متبحراً في دراسته، ولا تدرك خباياه ودقائقه إلاّ بعد المقارنة بكتب الخونجي المنطقية الأخرى "ككشف الأسرار عن

غوامض الأبكار"، و"الموجز في المنطق"، إذ أنّ الخونجي إنّما وضع جُمَلَه لجمع من أكابر العلماء وأعيان الفضلاء...."[60].

وهذا المصنف أكثر تداولا في المصادر التي تطرقت للشريف التلمساني[61]، ويخبرنا المقري بأن "ابن عباد الرندي... أخذ.... بتلمسان وفاس عن السيد الشريف الإمام العالم العلاّمة المحقق أبي عبد الله التلمساني الحسني جمل الخونجي تفهما وغيره"[62]، ويوجد لهذا الشرح نسختان خطيتان:

–النسخة الأولى جيدة تقع في 118 ورقة، بالمكتبة الوطنية بالجزائر، تحت رقم 1388.

–النسخة الثانية رديئة تقع في 95 ورقة، بالزاوية الحمزاوية بالمغرب الأقصى ضمن مجموع تحت رقم 45[63].

لقد اتفقت المصادر التي ترجمت للشريف التلمساني على تأليفه لهذا المصنف الأدبي، الذي تنضبط به قواعد المنطق وأحكامه، غير أنّني وقفت على شرح آخر نسب للفقيه إنّه **"الدرة النحوية في شرح الجرومية"**، وهو مشروع تحقيق اقبل عليه الباحث عبد القادر ياشي لنيل شهادة الماجستير[64]، وأكّد هذا النسب الباحث عيسى العزري[65]، الأمر الذي لفت انتباهي، خاصة وأن كلّ المصادر وحتّى الدراسات المرجعية[66] التي اهتمت بهذا العالم الجليل لم تشر ولم تقف وحتى تلميحاً عند هذا الشرح.

يشير عبد القادر ياشي إلى اعتماده على ثلاث نسخ وصفها وصفاً دقيقاً مشيراً إلى أماكن تواجدها، بحيث يذكرها[67]:

– **النسخة الأولى تامة**، موجودة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، تحت رقم 147، مكتوبة بخط مغربي ممتاز، عدد أوراقها 81 ورقة وكل واحدة منها صفحتان بمجموع 162 صفحة، عدد الأسطر في كلّ صفحة عشرون (20)، ماعدا الأولى والأخيرة بخمس عشر صفحة.

كتب متن الآجرومية بمداد أحمر تمييزا له عن الشرح الذي كتب بالمداد الأسود، كما كتبت الشواهد الشعرية والأبواب والفصول بمداد أحمر، النسخة خالية من تاريخ النسخ ومن اسم الناسخ، وهي النسخة الأم التي تم اعتمادها في التحقيق.

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

– **النسخة الثانية تامة**، موجودة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، تحت رقم 148، مكتوبة بخط مغربي غير واضح، أتلفت الرطوبة بعض أوراقها. عدد أوراقها 35 ورقة وكل واحدة منها صفحتان بمجموع 70 صفحة، عدد السطور في كلّ صفحة سبعة وعشرون(27)، ماعدا الخاتمة التي احتوت على عشرون كلمة.

كتبت النسخة بخط أسود إلاّ الفصول والأبواب فكتبت بخط أحمر، تميز بالرداءة في بعض الصفحات، النسخة خالية من تاريخ النسخ ومن اسم الناسخ.

النسخة الثالثة تامة، موجودة بمكتبة جامعة الملك سعود (الكترونية)، تحت رقم 2730، مكتوبة بخط مغربي جيد، بعض الصفحات غير مرتبة، عدد أوراقها 51 ورقة وكل واحدة منها صفحتان بمجموع 102 صفحة، عدد الأسطر في كلّ صفحة عشرون (20)، ماعدا الأولى والأخيرة بخمس عشر صفحة، هذه الأوصاف التي جاءت عند محقق المخطوطة عبد القادر ياشي، وقام الباحث بتحقيق جيّد مع مقارنة بين مختلف النسخ لتصويب ما يجب تصحيحه.

كما عملتُ من جهتي على رفع نسختين للمخطوطة من موقع مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز (الدار البيضاء) للمقارنة[68].

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

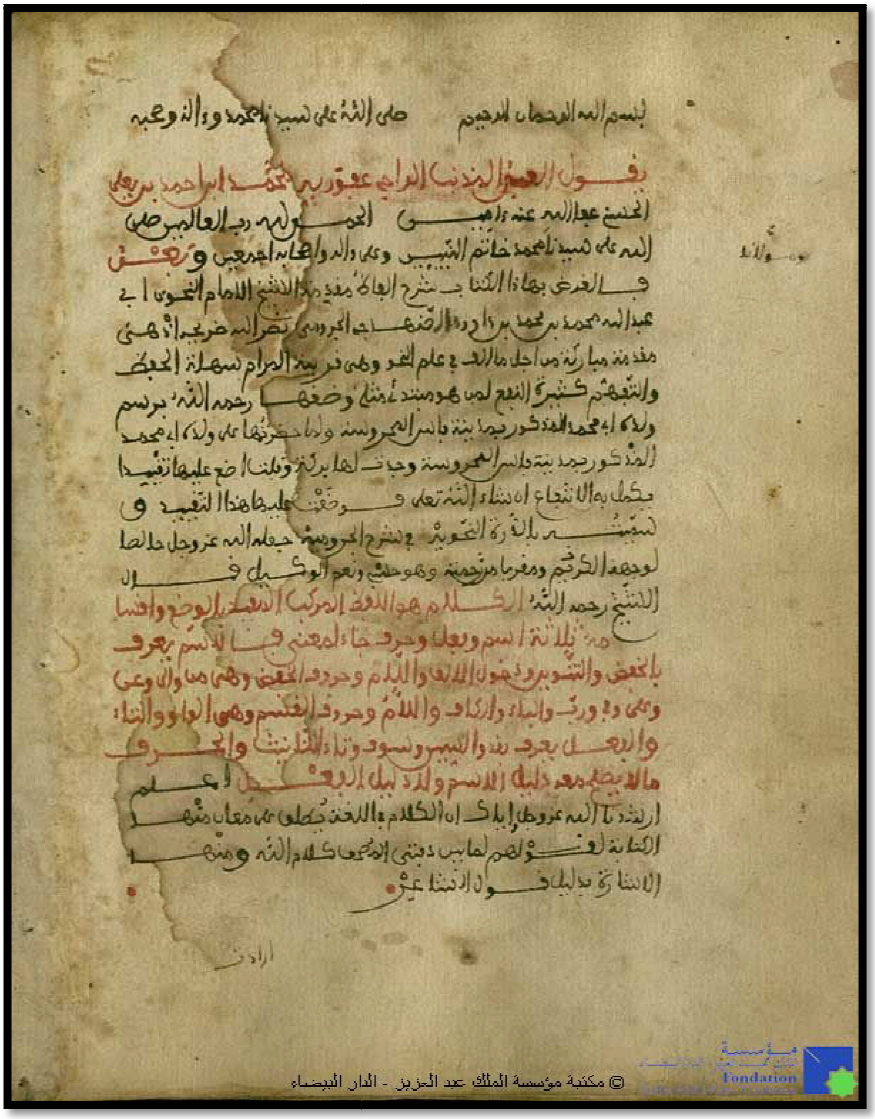

ما هي الشواهد التي اعتمدها عبد القادر ياشي والتي أكدت بالنسبة له نسب المخطوطة للشريف التلمساني:

بداية المخطوط "أ" مكتبة الجزائر: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

يقول العبد لله المقرّ بذنبه، الراجي غفران ربه، محمد بن أحمد بن يعلى الحسني: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد، فالغرض من هذا الكتاب، شرح ألفاظ مقدمة الشيخ الإمام النحوي أبي عبد الله محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي الجرّومي(69)، نظّر الله ضريحه، إذ هي مقدمة مباركة من أجلّ ما ألف في علم النحو، وهي قريبة المرام، سهلة الفهم، كثيرة النفع لمن هو مبتدئ مثلي واضعها– رحمة الله– برسم ولده أبي محمد، فانتفع بها، وانتفع بها جميع من قرأها، ولما حضرتها على ولده أبي محمد المذكور، بمدينة فاس المحروسة وجدتها لها بركة عظيمة، فقلت: أضع عليها تقييدا يكمل به الانتفاع –إن شاء الله– فوضعت عليها التقييد، وسميته "بالدرة النحوية في شرح الجرّومية" جعله الله تعالى خالصا لوجهه، ومقربا من رحمته، فهو حسبي ونعم الوكيل".

لقد استدل الباحث بعدة قرائن وهي:

1- بدأ المخطوط بذكر اسمه "يقول العبد لله المقر بذنبه الراجي غفران ربّه محمد بن أحمد بن يعلى الحسني عفا الله عنه بمنّه وكرمه"(70)، ومن هذا الاسم استخلص المحقق أنّ المخطوطة للشريف التلمساني.

2- قال شارح الجرومية: " واضعها– رحمة الله– برسم ولده أبي محمد، فانتفع بها، وانتفع بها جميع من قرأها، ولما حضرتها على ولده أبي محمد المذكور، بمدينة فاس المحروسة وجدتها لها بركة عظيمة"(71)، وهنا يشير المحقق إلى التقاء الشريف التلمساني بابن المؤلف بمدينة فاس.

3- والأهم مما سبق هو ذكره لشخصيتين مهمتين أخذ عنهما صاحب المخطوطة:

– عبد الله المجاصي (ت741هـ/ 1340م)، الذي قال عنه الشريف التلمساني: "أخبرنا شيخنا أبو محمد عبد الله المجاصي– نظّر الله ضريحه– أن أحد الفضلاء كان يختم باب معرفة علامات الإعراب من كتاب الجمل في دولته ثلاث مرات، ويقول هو أسّ العربية"(72)، يذكر يحي ابن خلدون أنّ هذا العلاّمة من أهل الحديث والزهد والورع كان خاشعا وذا مواعظ حسنة وتدريس للعلم وعبادة وقبره رضي الله عنه بالعباد خارج تلمسان(73).

– عمران بن موسى بن يوسف المشدالي البجائي الأصل المكنى أبو موسى (ت745هـ/ 1344م)(74)، استخلص الباحث عبد القادر ياشي أنّه الشخص المقصود من خلال النص

التالي: "وأما إذا كانت معها لا فليس إلا الإظهار إمّا لضعف اللام وقد حيل بينها وبين معمولها بلا، أو لالتقاء المثلين على ما قاله شيخنا عمران"[75]، هذا العالم الفقيه الحافظ الذي قال عنه صاحب نفح الطيب: "فدرّس بتلمسان الحديث والفقه والأصلين والنحو والمنطق والجدل والفرائض وكان كثير الاتساع في الفقه والجدل مديد الباع فيما سواهما"[76].

التعليق والتصويب: لقد تعقبت البحث وحاولت معرفة أهم الدراسات التي تناولت "الدرة النحوية في شرح الجرومية"، فكان الباحث السعودي الأستاذ عبد الرحمن بن مردد ألطحي من الذين انصبوا على مثل هذا العمل، وقام بتحقيق الدرة النحوية في مجلدين[77]، وتحقيق آخر قام به محمد بن عطية أبو بكر عبود من جامعة الأسمرية بليبية سنة 2009م، وسليم خيراني من جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، سنة 2010م، لكن لم يشر أيٌّ منهما إلى أنّ الشريف التلمساني هو صاحب الدرة النحوية.

فبداية المخطوط: "يقول العبد لله المقر بذنبه الراجي غفران ربّه محمد بن أحمد بن يعلى الحسني عفا الله عنه بمنّه وكرمه"[78]، لم تذكر عبارة التلمساني التي ترددت عند البعض، وبالعودة إلى المصدر التي ترجمة لشارح "جمل الخونجي" وجدنا اسمه بالكامل "محمد بن أحمد بن علي بن يحيي بن علي بن محمد بن القاسم بن محمود بن ميمون بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن علي بن أبي طالب"[79]، في حين أنّ صاحب المخطوطة الأصلي هو محمد بن احمد بن يوسف بن يعلى الحسني، الشهير بالشريف، وهو ما أكده صاحب كتاب "درة الحجال في أسماء الرجال" قائلا: "محمد بن احمد بن يعلى الشريف الحسني أبو عبد الله أخذ عن منديل بن أبي آجروم وغيره، له شرح على المقدّمة الجرومية"[80]، ويثبت نفس المؤلف في مصنف آخر له أنّه "صاحب شرح المقدمة الجرومية في النحو"[81]، وشيخه منديل توفي سنة 772هـ[82]، أمّا بالنسبة للشريف التلمساني فيذكر نفس المؤلف في صفحة أخرى قائلا: "محمد بن أحمد الشريف الحسني التلمساني شارح الجمل للخونجي وغيره"[83]، وهنا وقع اللبس بالنسبة لمحقق الدرة النحوية.

وأضيف للتأكيد أنّ ابن يعلى الحسني هو واضع شرح الجرومية ما ذكره اليوسي في رسائله: "... كانت مدرسة الوادي... لا يعطى البيت فيها إلاّ من يحفظ جميع مختصر الحاجبي، ولما

جاء الشريف وهو لم يحفظه ولم يجد له بيتا. قعد عند سارية واشتغل بشرح الجرومية حتى أكمله، فرفعه إليهم ليعطى بيتاً"[84].

كما يشير الكتاني لهذه المخطوطة فيقول: "ممن أخذ عنه (الجرّومي) ولداه.... أبو محمد عبد الله وبرسمه وضع والده المذكور المقدمة المذكورة فنفعه الله بها، وانتفع بها أيضا كل من قرأها..."[85]، ويضيف قول الشريف في شرحه لها: "ولما حضرتها على ولده أبي محمد المذكور بمدينة فاس، وجدت لها بركة عظيمة"[86]، وفعلا هو ما وقفت عنده واستخلصته عند قراءتي للمخطوطة.

أمّا ذكر اسم عبد الله المجاصي، فلم نقف من خلال المصادر التي ترجمت لابن يعلى الحسني على ما يثبت أنّه قرأ على هذا العالم الجليل، ولم نجد تفصيلا في المسألة، ماعدا إشارة محتشمة وردت لدى الباحث عبد العزيز الساوري في مقال له حول "تراجم مغربية أندلسية تنشر لأول مرة"[87]، فهو يشير إلى أن صاحبّ الدرة النحوية في شرح الجرومية" قد أخذ عن أبي المكارم منديل بن أجروم، وولده أبي محمد بن عبد الله، وأبي محمد بن عبد الله المجاصي، وأبي عبد الله محمد بن محمد المقري، وأبي موسى عمران المشدالي، مضيفا أنّ الشارح كان حيّاً سنة 757هـ ولا يعرف له تاريخ وفاة[88]، كما تشير إحدى النسخ التي استعنت بها للتعليق على ما ذكره الباحث عبد القادر ياشي أنّ اسم المجاصي استبدل باسم الصنهاجي، وهو تعليق ورد على جانب النص الأصلي، وربما كان من الناسخ، و الصورة أدناه توضح ذلك[89]، ونفس الإشكال صادفناه مع إسم عمران[90].

الخاتمة: من نافلة القول، لقد كان للشريف التلمساني إسهامات فعّالة في ميادين ثقافية ومعرفية متنوعة، لدى تتفق مختلف المصادر التي ترجمت له على أنّه فارس المعقول والمنقول، صاحب الأصول والفروع، كان الفقيه والعالم والمتصوف والمؤلف والأصولي والخطابي، وما زاد من مكانته انتسابه إلى بيت عُرِف أهله بالعلم والتقوى والنباهة والصلاح والتدين.

عاش مؤلفنا خلال فترة عرفت انتعاشاً ثقافياً وعلمياً، الأمر الذي ساعده على تكوين شخصيته العلمية العالية الهمّة، فاعتكف على تحصيل مختلف العلوم وتتلمذ على أشهر العلماء

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

بمدينة تلمسان وغيرها، فبرزت مكانته المعرفية والعلمية وشُهد له بذلك، واهتم بالتدريس والتعليم الأمر الذي انعكس سلباً على عملية التأليف.

بالرغم من أنّ الفقه كانت السمة التي طغت على معارفه إلاّ أنه شارك في علوم العربية وآدابها وقواعدها نحواً وصرفاً وبلاغةً وبياناً، وكان خبيراً فيها، قوي في غريب اللغة والشعر والأمثال، ويعد مصنف شرح جمل الخونجي المصدر الوحيد له في هذا المجال، ولم نتمكن من الحصول على نسخة منه لإبراز محتواه والكيفية التي اعتمدها الشريف التلمساني في الشرح، أمّا "الدرة النحوية في شرح الجرومية" فقد نسب خطأ لمؤلفنا وهو ما حاولنا إثباته من خلال المعطيات التاريخية التي توفرت لنا.

خلاصة القول، بفضل العطاء الفكري والمعرفي له ولغيره من العلماء والفقهاء أصبحت تلمسان واحدة من أعظم وأشهر حواضر العالم الإسلامي يؤمها العلماء والأدباء والشعراء ومختلف الرحالة.

الورقة التي رود فيها اسم المجاصي (الصنهاجي)

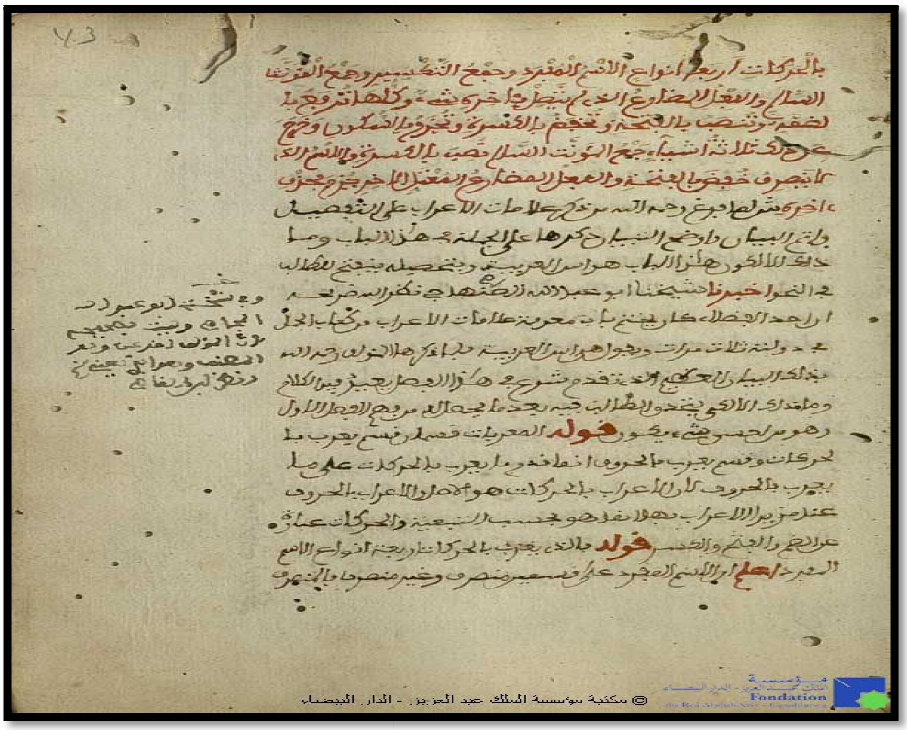

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

الورقة التي ورد فيها اسم عمران[91]

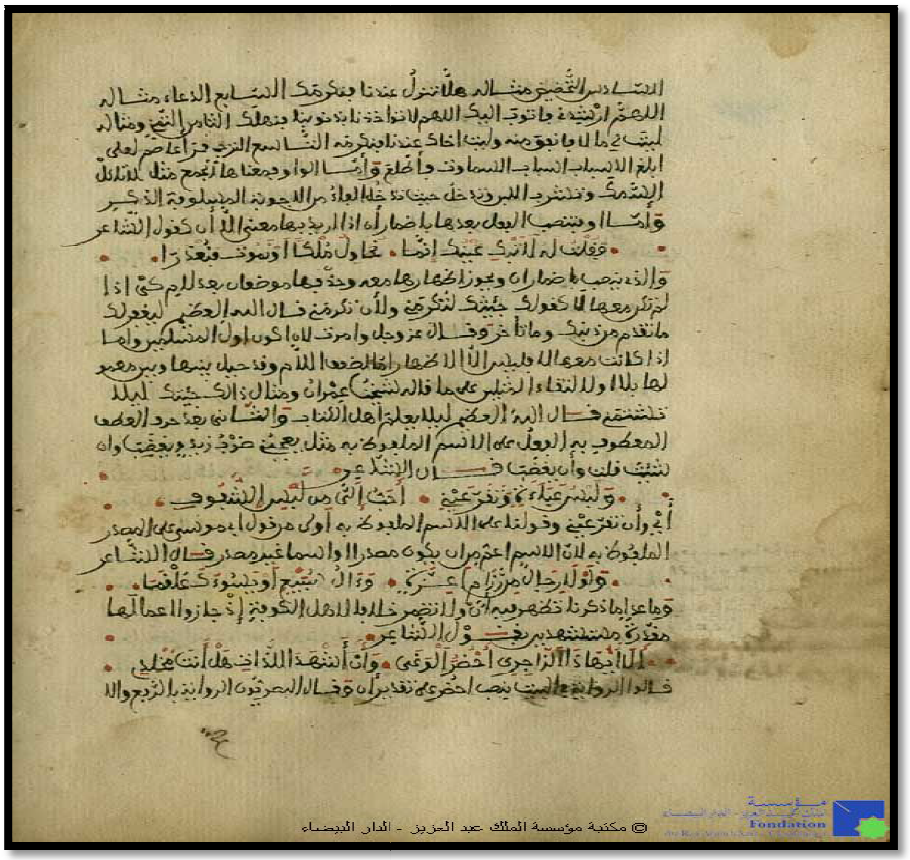

الهوامش:

1- ابن خلدون، عبد الرحمن، رحلة ابن خلدون، تعليق محمد بن تاويت الطنجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ص ص68- 69 / ابن خلدون، يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، د/ط، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1903م ، ج1، ص 57/ التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، دراسة وتحقيق: محمد مطيع، د/ط، مطبعة فضالة، المغرب، 2000م، ج2، ص 70/ ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، د/ط، تحقيق عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، د/ت، ص 368 / ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق الأحمدي أبو النور، ط1، مكتبة دار التراث، 1971م، ج2، ص 269/ الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف: محمد حجي، د/ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، 1981م، ج12، ص 224- 225 / ابن مريم ، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق عبد القادر بوباية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م، ص 164. ---2- ابن خلدون، عبد الرحمن ، المصدر السابق، ص 71 / الونشريسي، المصدر السابق، ج12، ص 225.--3- التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2، ص 72/ التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، دار الكاتب، طرابلس، 2000م ، ص 432.---4- ابن مريم ، المصدر السابق، ص 166.--5- المصدر نفسه، صص 165-166. --6- ا بن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 70/ ابن مريم، المصدر السابق، ص 164.

7- التنبكتي، كفاية المحتاج،ج2، ص 73/ ابن مريم، المصدر السابق، ص 167.--8- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 433.

9– التنبكتي، المصدر نفسه، ص 432/ ابن مريم، المصدر السابق، ص 167.--10– التنبكتي، نفسه، ص 433.

11– التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2، ص 74/ ابن مريم، المصدر السابق، ص 169.--12– الحفناوي، أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، د/ط، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م، ص 111.--13– التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2، ص 74 / نفسه، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 435.--14– ابن مريم، المصدر السابق، ص 170.--15– الحفناوي، أبو القاسم، المرجع السابق، ص 112.--16– ابن خلدون، يحي ، المصدر السابق،ج1، ص 57.–7– بن مخلوف، محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ج1، ص 234.--18– ابن قنفذ القسنطيني، / التنبكتي، نيل الابتهاج، ص440/ الونشريسي، المصدر السابق، ج12، ص225/ ابن مريم، المصدر السابق، ص330.--19– التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص440/ابن مريم، المصدر السابق، ص 117.--20– الحفناوي، أبو القاسم، المرجع السابق، ص 119.

21– التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص441--22–ابن مريم، المصدر السابق، ص:244.--23– المقري، المصدر السابق، ج5، ص 231/ ينظر أيضا ا بن خلدون يحي، المصدر السابق، ج1، ص 35/ ابن مريم، المصدر السابق، ص 121.--24– يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، د/ط، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ج1، ص 63.--25– المقري، المصدر السابق، ج5، ص 215.--26–عادل نويهض ، المرجع السابق، ص 336.--27– ابن خلدون، يحي، المصدر السابق، ج1، ص 52/ المقري، المصدر السابق، ج5، ص 234.--28– ابن خلدون، يحي، المصدر السابق، ص 75/ ابن مريم، المصدر السابق، ص 291.--29– ابن خلدون يحي، المصدر السابق، ص 74/ التنبكتي، كفاية المحتاج، ج1، ص 375/ الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص 116/ / المقري، المصدر السابق، ج5، ص 233/ أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ص 73.--30– ابن القاضي، درة الحجال، ص 172/ نفسه، جذوة الاقتباس، ص 172.--31– ابن خلدون، يحي، المصدر السابق، ص 55/ المقري، المصدر السابق، ج5، ص 236.--32– ابن مرزوق ، المصدر السابق، ص 261/ ا بن خلدون، عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 32/ التنبكتي، نيل الابتهاج، صص 408– 409/ ابن القاضي ، جذوة الاقتباس، ص 228.--33– ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 354/ السملالي، العباس بن إبراهيم ، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م، ج8، ص 470.--34– المقري، المصدر السابق، ج5، ص 244.--35– ابن خلدون، عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 70/ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 305.

36– التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 359.--37– أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي، فتاوى الإمام الشاطبي، تحقيق محمد أبو الأجفان، ط2، 1985م ، ص 32/ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 49/ ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص 182.

38– التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، صص 478– 479/ المقري، المصدر السابق، ج7، ص 147.

39– ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخناجر، مصر، 1993م ، ص 660/ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 251.--40– التنبكتي، المصدر السابق، ص 109/ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 154.

41– التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 481– 482.--42– ابن مريم، المصدر السابق، ص172.--43– المصدر نفسه، ص ص173– 174.--44– نفسه، ص174.---45– ابن خلدون، يحي، المصدر السابق، ص123.--46– الونشريسي، المعيار، ج12، ص224--47– ابن مريم، المصدر السابق، صص322–324.--48– التنبكتي، نيل الابتهاج، ص437.

49– الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، د/ط، توزيع مكتبة الرشاد، القاهرة، د/ت، ص07.--50– الشريف التلمساني، "مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول"، تحقيق محمد علي فركوس، ص120.

51– التنبكتي، نيل الابتهاج، ص436.---52 – ابن مريم، المصدر السابق، صص324–325.

53– يذكر كلّ من التنبكتي والحفناوي الكتاب بالمعاوضات، في حين يذكره ابن مريم بالمعاطات. التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق ،ص437/ ابن مريم، المصدر السابق، ص174/ أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ص114.

54– الحفناوي، أبو القاسم، المرجع السابق، ص114.--55– الونشريسي، المصدر السابق، ص225/ ابن مريم ، المصدر السابق، ص330--- 56– ابن مريم، المصدر السابق، ص325---57– التنبكتي، كفاية المحتاج، ص77.

58– الخونجي هو أبو عبد الله محمد بن ناماور بن عبد الملك أفضل الدين الخونجي الشافعي، ولد سنة 590هـ، وهو حكيم منطقي بارع وكان مع ذلك جيد السيرة في أحكامه وتولى قضاء مصر، وتوفي بالقاهرة سنة 646هـ. ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق ومراجعة رياض عبد الحميد مراد وآخرون، ط2، دار ابن كثير، بيروت، 2010م، ج15، ص266.--59– التنبكتي، نيل الابتهاج،، ص437/ ابن مريم، المصدر السابق، ص326.--60–الشريف التلمساني، المصدر السابق، تحقيق محمد علي فركوس، ص121.

61– المصدر نفسه، ص122.--62– ابن قنفذ القسنطيني في وفياته قائلا: "شارح الجمل في المنطق" ص84، الونشريسي، "شارح الجمل للخونجي". الوفيات، ص55، مخلوف، "شرح الخونجي"، شجرة النور الزكية، م1، ص337.---63– المقري، نفح الطيب، ج5، ص346--64– الشريف التلمساني، المصدر السابق، تحقيق، محمد علي فركوس، ص122.---65– الدرة النحوية في شرح الجرّومية لأبي عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ)، تحقيق ودراسة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، ضمن مشروع النحو في الجزائر مجالاته ومنطلقاته بإشراف الأستاذ الدكتور مختار بوعناني، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السانية، السنة الجامعية، 2010م.--66– شرح الأجرومية لدى الجزائريين، دراسة في المنهج والمحتوى، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، تحت إشراف الأستاذ الدكتور مختار بوعناني، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السانية، السنة الجامعية 2013م.--67– محمد علي فركوس، في تحقيقه لمفتاح الوصول إلى بناء الفروع....، أمحمد بوشريط في مقال المنشور بمجلة عصور الجديدة "الشريف التلمساني وإسهاماته العلمية"، وغيرها من الأبحاث.---68– عبد القادر ياشي، المرجع السابق، صص148-152.--69– محمد بن احمد بن يعلى الحسني المغربي الفاسي (ت 723 هـ)، الدرة النحوية في شرح الجرومية، رقم المخطوط (2/264)، مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء، الناسخ : محمد بن محمد بن الحسن بن عبد الله الغربي، تاريخ النسخ : 1210هـ، عدد الأوراق : 45. --70– محمد بن محمد بن داوود بن آجروم الصنهاجي: الأستاذ النحوي صاحب مقدمة النحو كان من مؤدبي أهل مدينة فاس، ولد عام 672هـ وتوفي عام 723هـ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، صص222، 223. --71– المخطوطة، الورقة 1. --72– المخطوطة ورقة2.--73– المخطوطة، ورقة 47.--74– ا بن خلدون يحيى، المصدر السابق، ص 35.--75– عادل نويهض، المرجع السابق، ص 300.--76– المخطوطة، ورقة 63.--77– المقري، المصدر السابق، ج5، ص 233.--78– رسالة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص النحو والصرف، تحت إشراف د. عياد بن عبد الثبيتي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة 1994م.

79– المخطوطة، الورقة 1. --80– التنبكتي ،نيل الابتهاج، ص430.--81– ابن القاضي، المصدر السابق، ص145.

82– جذوة الاقتباس، ج2، ص244.--83– الكتاني، أبو عبد الله، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، د/ط، دار الثقافة، الدار البيضاء، د/ت، ج2، ص133. --84– ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص269.

85– رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، جمع وتحقيق ودراسة فاطمة خليل القبلي، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981، ج1، صص144، 145.--86– الكتاني، محمد بن جعفر، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، تحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، ج2، ص132. --87– المرجع نفسه، ج2، ص139.--88– مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد 338، جمادى الثاني، 1419هـ/ أكتوبر 1998م.--89– نفس المجلة.--90– محمد بن احمد بن يعلى الحسني المغربي الفاسي (ت 723 هـ)، الدرة النحوية في شرح الجرومية،رقم المخطوط (4/661)، مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء، الناسخ : أبو القاسم بن محمد بن عبد الجليل الفيلالي، تاريخ النسخ : 1106هـ، عدد الأوراق : 135، ورقة 63.--91– محمد بن احمد بن يعلى الحسني ، الدرة النحوية في شرح الجرومية، رقم المخطوط (2/264)، ورقة 33.